آيات الإفك
دراسة تفسيرية تحليلية
Verses of Slander: An Analytical Exegetical Study

إعداد
م.م أثير عزيز عيدان الدباغ
Asst. Instructor Atheer Aziz Edan Al-Dabbagh

١٤٤٦هـ ٢٠٢٤م

ملخص

إنّ هذا البحث بحث في التفسير التحليلي والذي يتكلم عن حادثة الإفك الواردة في سورة النور ومن أسباب اختياره استمرارية الطعن في أم المؤمنين عائشة وصفوان بن المعطل رضي الله عنهما وهذا البحث يتكون من ثلاثة مباحث:

أما المبحث الأول فهو في مواضيع الآيات ومحورها وفيه مطلبان: المطلب الأول تعظيم الله وصفاته المرتبطة بمواضيع السورة، والمطلب الثاني المحترز بأحكام الاستئذان والخلوة والنظر. وأما المبحث الثاني: فهو آيات الإفك في التأصيل البحثي. وفيه ثلاث مطالب: الأول تحديد آيات الإفك والثاني: سبب نزول الآيات. والثالث المعنى الإجمالي للآيات. وأما المبحث الثالث. فهو آيات الإفك في المنظور الشرعي. وفيه مطلبان: الأول الأحكام المستنبطة في الحادثة والثاني أدلة براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قبل نزول الآيات.

Abstract

This research is an analytical interpretation of the incident of the slander (ifk) mentioned in Surah Al-Noor. The reason for choosing this topic is the continuous attacks on the Mother of the Believers Aisha and Safwan bin Mu'attal, may Allah be pleased with them both. Additionally, there is no comprehensive analytical study of these verses individually. This research consists of three chapters. The first chapter discusses the topics and themes of the verses, with two subchapters: the first subchapter discusses the exaltation of Allah and His attributes related to the topics of the surah, and the second subchapter discusses the rules of seeking permission, seclusion, and looking. The second chapter discusses the verses of the slander (ifk) in the research context, with three subchapters: the first subchapter identifies the verses of the slander, the second subchapter discusses the reason for the revelation of the verses, and the third subchapter discusses the overall meaning of the verses. The third chapter discusses the verses of the slander from a legal perspective, with two subchapters: the first subchapter discusses the rulings derived from the incident, and the second subchapter discusses the evidence of Aisha's innocence before the revelation of the verses.

المقدمة

الحمد لله الذي جعل القرآن الكريم دستوراً يهتدي به الناس ويخرجهم من الظلمات والأوهام إلى النور والحقيقة، الحمد لله الذي برَّأ المظلوم وأشهد الناس على طهره، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب المعجزات وسبب الخيرات، وداعياً إلى الخالق المولى بإذنه وسراجاً منيراً.

أمَّا بعد:

فإنّ من أجلَّ العلوم التي تُصرف فيها الهمم، علم القرآن الكريم الواسع مجاله وتفرعاته إذ يقول سبحانه: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[1]

فالحمد لله الذي أنزل إلينا كتابه العظيم رحمة وذكرى، وهدى وبشرى، فأنار به السبيل، وأقام به الحجة، وفرق به بين الحق والباطل، ورفع به من شاء من عباده، وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلا كبيراً، والصلاة والسلام على إمام المتقين، وأسوة المؤمنين، نبينا الأمين، الذي بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين.

إنَّ علم التفسير يعد من أسمى وأجل العلوم، وأعظمها نفعًا وأثرًا، وأوسعها في المعرفة، حيث تزداد حاجة الأمة إليه في كل وقت ومكان لفهم ما أنزله الله في كتابه من هداية، ولإيضاح ما قد يشكل عليهم فهمه ويخفى عنهم علمه. وقد كرم الله أهل التفسير ورفع مكانتهم، وجعلهم مرجعاً لعباده في تفسير كلامه وبيان مقاصده، وهذا يعد شرفاً عظيماً بحد ذاته.

إن إدراك طالب العلم لعظمة علم التفسير وجلالة قدره يسهم في تحفيزه على التعلم بجدية واجتهاد، والتوجه إليه بعزيمة قوية ورغبة صادقة. فمن أقبل على طلب العلم باجتهاد وعزيمة نابعة من إدراكه لأهمية العلم الذي يسعى لتحصيله، يُرجى له أن يوفق للوصول إلى غايته، وتحقيق ما يصبو إليه، والتمكن من العلم إذا اتبع طريقة صحيحة في الطلب وكان الله معه بتوفيقه.

ولعلم التفسير فضائل عديدة وفوائد عظيمة، سواء على المستوى الشخصي لطالب العلم أو على مستوى الأمة عامة، وذلك بسبب ارتباطه بتفسير معاني كتاب الله تعالى. وقد قال الله جلّ وعلا: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ يِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[2]

---

(١) سورة الأنعام: ٣٨

(٢) سورة المائدة: ١٥ – ١٦

تنقسم تفاسير القرآن من حيث طريقة التفسير إلى عدة أنواع منها:

١. التفسير الإجمالي: يعتمد هذا النوع على تقديم شرح مختصر لمعاني الآيات دون الدخول في تفاصيل كثيرة. يتصف بالإيجاز والبساطة، ويكون التفسير المكتوب عادةً ثلاثة أضعاف حجم النص القرآني تقريباً. ومن أشهر التفاسير التي تعتمد هذا الأسلوب: *تفسير الجلالين* و*صفوة البيان لمعاني القرآن*.

٢. التفسير التحليلي: يسعى المفسر في هذا النوع إلى التوسع في شرح الآيات، فيستطرد في الموضوعات، ويذكر المسائل المختلفة المتعلقة بالآية. يتميز هذا النوع بالتفصيل والتحليل العميق لمفردات القرآن وأحكامه ومعانيه. ومن أبرز التفاسير في هذا النوع: تفسير الطبري، الزمخشري، الرازي، والآلوسي. وغالبية التفاسير تُصنَّف ضمن هذا النوع.

٣. التفسير المقارن: يقوم المفسر في هذا النوع بدراسة تفسير آية أو سورة معينة عبر الكثير من التفاسير، ثم يعقد مقارنة بين مناهج المفسرين المختلفة. يتناول هذا النوع إيجابيات وسلبيات كل تفسير، ويبرز ما فيه من إبداع أو تقليد. الهدف من هذا النوع هو توضيح التفاسير التي تقدم إضافات جديدة والأخرى التي تكتفي بالتكرار.

٤. التفسير الموضوعي: ينقسم إلى ثلاثة ألوان:

– التفسير الموضوعي للمصطلحات القرآنية: يذكر المفسر في هذا النوع مصطلحًا معينًا ويقدم له دراسة شاملة من حيث اشتقاقه وتصريفه وروده في القرآن، ثم يستخرج المعاني واللطائف من الآيات التي ورد فيها هذا المصطلح. من أمثلة الكتب في هذا النوع: "رسالة الأمة في دلالتها العربية والقرآنية" لأحمد فرحات، و"العهد والميثاق في القرآن" لناصر العمر.

– التفسير الموضوعي للموضوعات القرآنية: في هذا النوع، يختار المفسر موضوعًا معينًا في القرآن، ثم يجمع الآيات المتعلقة به مهما اختلفت صيغها أو مفرداتها، ويستخرج منها الدلالات القرآنية. من الأمثلة على الكتب في هذا المجال: "مع قصص السابقين في القرآن" و"الشخصية اليهودية من خلال القرآن: تاريخ وسمات ومصير".

– التفسير الموضوعي للسور القرآنية: يعتمد هذا اللون على دراسة سورة قرآنية بشكل معمق، مبينًا الوحدة الموضوعية للسورة ومستخرجًا أهدافها ومقاصدها. من أشهر الكتب في هذا المجال: "سورة الحجرات: دراسة تحليلية موضوعية" لناصر العمر، و"تدبر سورة الفرقان" لعبد الرحمن حبنكة.

يُعد التفسير التحليلي واحداً من الأنواع الأساسية في علم التفسير، وضرورياً للمفسر، حتى لو استعان بمناهج أخرى مثل التفسير الإجمالي أو الموضوعي؛ لأنَّ التفسير التحليلي هو المفتاح لفهم الآيات القرآنية بدقة قبل أن يتمكن المفسر من استخدام أي منهج آخر.

يُساعد هذا النوع من التفسير على توضيح الدلالات اللغوية والشرعية للآيات، ويكشف عن العلاقات والمناسبات بين الآيات المختلفة. كما يتيح فهم القراءات المتنوعة للآيات وأثرها في المعنى، ويُبيّن أوجه الإعراب التي تؤثر بدورها على الفهم المتعدد لآيات القرآن الكريم، مما يُسهم في تعميق فهم النص من جوانب مختلفة.

مزايا التفسير التحليلي:

١. الأقدم بين أساليب التفسير: يُعد التفسير التحليلي الأسلوب الأقدم في تاريخ التفسير، إذ بدأ العلماء تفسير القرآن بالتدرج آيةً آيةً وسورةً سورةً دون تخطي أي جزء منها.

٢. شيوعه في تفاسير الآيات: يُعدّ التفسير التحليلي الأسلوب الأكثر استخداماً في تفسير الآيات، لذلك يُصنّف كأحد أهم المناهج التفسيرية.

٣. مرونة في الطول والإيجاز: تختلف التفاسير في هذا المنهج بين الإطناب (التوسع في التفسير) والإيجاز (الاختصار)، فمن المفسرين من كتب تفسيره في مجلد واحد يغطي القرآن الكريم كاملاً، بينما صنف آخرون تفاسيرهم في عشرات المجلدات.

٤. تنوع الأساليب والمناهج: يختلف المفسرون في استخدامهم للتفسير التحليلي بناءً على اتجاهاتهم الفكرية والمناهج التي يتبعونها. فبعضهم يعتمد على التفاسير التي سبقهم إليها الأئمة والعلماء، بينما يستعين آخرون بالمذاهب المختلفة في تفسير القرآن.

التفسير التحليلي يُعد بذلك من أهم الأدوات لفهم النص القرآني من جوانب متعددة، ويمثل ركيزة أساسية لأي تفسير شامل للنصوص. ففي كتاب الله الهدى والشفاء، والرحمة والبيان، والموعظة الحسنة والتبيان، ومن جملة علوم القرآن الجليلة المتنوعة علم التفسير الذي مهما بذلت فيه الجهود وفنيت فيه الأعمار ما أدركت غوره، وقد كر الإمام الزركشي[١] في كتابه المنثور في القواعد ما نصه: "كان بعض المشايخ يقول: العلوم ثلاثة علم نضج وما احترق وهو علم الأصول والنحو، وعلم لا نضج ولا احتراق وهو علم البيان والتفسير، وعلم نضج واحتراق وهو علم الفقه والحديث".[٢]

ومن فنون هذا العلم الواسع – علم التفسير – الذي يُقسم إلى فروع كالتفسير الموضوعي والتفسير المقارن والتفسير التحليلي هو اسلوب من أساليب التفسيروفرع من فروع التفسير فهو

(١) هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين: عالم بفقه الشافعية والأصول، تركين الأصل، مصري المولد والوفاة ت ٧٩٤هـ الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجل والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين. الطبعة الخامسة عشر. بيروت لبنان ٢٠٠٢م ٦٠/٦.

(٢) المنثور في القواعد. بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي الشافعي. تحقيق: تيسير فائق أحمد محمود. راجعه عبد الستار أبو غدة. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الكويت. ط١ ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م ٧٢/١.

معناه التزام المفسر نظم التفسير وغير ذلك، ونحن هنا بصدد التفسير التحليلي الذي يُعنى ببيان معاني الألفاظ في الآية، وبلاغة التركيب والنظم، وأسباب النزول، واختلاف المفسرين، وبيان الأحكام الواردة في الآية، وبيان بعض المسائل الفقهية والنحوية والبلاغية، كذلك يعنى بذكر الروابط والمناسبات بين السور والآيات وغير ذلك.

وموضوع بحثي هذا يدرس تفسير بعض الآيات التي تتحدث عن حادثة عظيمة من أحداث السيرة النبوية، تتعلق بشيء يخص النبي صلى الله عليه وآله وسلم. فقد كانت حياة رسول الله مليئة بالغزوات المستمرة التي كانت تهدف إلى نشر الدين الإسلامي في مختلف أنحاء الأرض. في بعض الأحيان، كانت الغزوة الواحدة تستغرق عدة شهور، ممَّا كان يتسبب في غياب النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن منزله الليالي الطوال. وعلى الرغم من مشاغله الكبيرة، كان رسول الله رحيماً ولين القلب تجاه زوجاته، يسعى دوماً لإرضائهن وعدم التقصير في حقهن، إذ كان يعدهن أمانة من الله عز وجل، يحرص على معاملتهن بالرحمة والعدل لذلك عندما كان يخرج في غزوة، كان يجري قرعة بين زوجاته، والتي يخرج اسمها ترافقه في تلك الغزوة. وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها غالباً ما يحالفها الحظ في تلك القرعة، فترافقه في غزواته.

ومن الغزوات التي خرج فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، غزوة المريسيع، حيث أجرى القرعة وخرج اسم السيدة عائشة رضي الله عنها، فأمرها بتجهيز متاعها للخروج معه في الغزوة. وقد شاركت السيدة عائشة رضي الله عنها رسول الله في هذه الغزوة حتى انتهائها، وحدث ما سنتناول الحديث عنه في هذا البحث. أسأل الله العلي القدير أن يوفقني ويعينني في هذا البحث، والله المستعان.

أهمية البحث:

أنَّه وفي عصر انتشار العلم الشرعي وكذلك التقني والتطورات العلمية ما يزال هناك من يعرض عن آيات حادثة الإفك بل ويصرفها عن حقيقتها وما أنزلت في شأنه لتستمر مسيرة المنافقين في الطعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وبالتالي فإنَّ هذا الطعن يطال سيد المرسلين ﷺ.

المبحث الأول
مواضيع الآيات ومحاورها
المطلب الأول: تعظيم الله وصفاته المرتبطة بمواضيع السورة:

لقد أمر الله تعالى خلقه بتعظيم أسمائه الحسنى وصفاته العلا والتعرف عليها، والعمل بها، مما يوصل المخلوق إلى خشية خالقه تعالى، وتعظيمه في النفوس، فبها تحيا القلوب وتزكو الأرواح وتقبل على الله عز وجل، فليس عند أولي العقول والنهى أحلى ولا ألذ ولا أطيب ولا أنعم من معرفة الله سبحانه؛ وهذا المطلب كان في مسألة استقراء سورة النور كاملة واستخراج أسماء الله الحسنى وصفاته العلا فيها.

وبعد استقراء الصفات التي ذُكِرَتْ في آيات سورة النور وهي:

(يلعن، يغضب، ذو فضل، ذو رحمة، يعلم، يزكي، يغفر، يوفي، ذو مغفرة، ذو رزق كريم، خبير، يغني، يؤتي، يرزق، ذو نور، يهدي، يضرب الأمثال، يجزي، يزيد، سريع الحساب، يجعل نور، يملك، إليه المصير، يزجي سحاباً، يؤلف، يجعله ركاماً، ينزل برد، يصيب، يصرفه، يقلب، يخلق، ذو قدرة، ينزل، يحكم، يعد، يستخلف، يمكّن، يبدّل، يبين، يبارك، يطيب، ينبّئ)

يتبين والله تعالى أعلم أنّ خبر الإفك قد غضب الله منه غضباً شديداً ويتضح ذلك بتوعد الله بالعذاب العظيم لمن خاض فيه فضلاً عمَّن أشاعه ونشره بين الناس وأنَّه لولا فضل الله ورحمته وأنّه رؤوف رحيم لمس العذاب العظيم أولئك الخائضين في خبر الإفك مع توعده بالعذاب العظيم لمن تولى كبره، وكذا لولا فضله ورحمته ما زكى منهم من أحد أبداً إذ يقول الله عز وجل: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢)

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣)

الأدلة من القرآن الكريم على حادثة الأفك:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ

(١) سورة النور: ١٤

(٢) سورة النور: ٢١

(٣) سورة النور: ٢١

خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ (١)

المطلب الثاني: حادثة الأفك في صحيح البخاري:

باب حديث الإفك هو أحد الأبواب التي بُوبت لشرح الحادثة الشهيرة في السيرة النبوية، المعروفة بحادثة الإفك، وهي الاتهامات الباطلة التي وُجهت إلى السيدة عائشة رضي الله عنها بعد غزوة المريسيع. يُشير مصطلح "الإفك" في اللغة إلى الكذب الشديد، كما ورد في قوله تعالى: ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ (٢)، أي: يُصرف عن الحق من صُرف.

في رواية الإمام البخاري : روى عبد العزيز بن عبد الله قال: حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب قال: حدثني عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب، وعلقمة بن وقاص، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن السيدة عائشة رضي الله عنها، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، عندما قال لها أهل الإفك ما قالوا. وكل منهم حدثني بجزء من حديثها، وكان

(١) سورة النور: ١١ – ٢٦

(٢) سورة الذاريات: ٩

بعضهم أدق في روايته من بعضهم. وقد جمعتُ من كل رجل منهم الحديث الذي رواه لي عن السيدة عائشة، وكان كل جزء من حديثهم يصدق الآخر، رغم اختلاف الدقة بينهم.

قالوا: قالت عائشة رضي الله عنها: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد السفر، كان يجري قرعة بين زوجاته، فأيهن خرج سهمها كانت ترافقه في السفر. وفي إحدى الغزوات، غزوة المريسيع، خرج سهمي، فخرجت معه بعد أن فُرض الحجاب. كنت أُحمل في هودجي وأنزل فيه. وعندما انتهت الغزوة وأراد النبي صلى الله عليه وسلم العودة إلى المدينة، أمر الجيش بالاستعداد للرحيل ليلاً. وفي تلك الأثناء، قمت لقضاء حاجتي وتجاوزت الجيش. وعندما عدت، لمست صدري فوجدت أن عقدًا لي من جزع ظفار قد انقطع، فعُدت للبحث عنه.

بينما كنت أبحث عن العقد، جاء الرجال الذين كانوا يحملون هودجي، فرفعوه على الجمل ظانين أنَّني بداخله، لأنَّ النساء في ذلك الوقت كن خفيفات الوزن، فلم يشعروا بخفة الهودج. بعد أن وجدت عقدي، عدت إلى مكان الجيش، ولكنّي وجدت أنَّ الجيش قد غادر. اعتقدت أنَّهم سيفقدونني فيعودون إلي، فجلست في مكاني منتظرة عودتهم، ولكن غلبني النعاس فنمت.

كان صفوان بن المعطل السلمي يتأخر عن الجيش، ولما وصل إلى مكاني في الصباح، رأى سواد إنسان نائم، فتقدم نحوي وعرفني لأنه كان قد رآني قبل فرض الحجاب. استرجع وقال: 'إنا لله وإنا إليه راجعون'. استيقظت وخمرت وجهي. لم نتبادل أي حديث سوى استرجاعه. أناخ صفوان راحلته، فأركبني عليها وسار بي حتى لحقنا بالجيش في وقت الظهيرة، بينما كانوا في استراحتهم.

وعندما وصلنا إلى الجيش، بدأت الشائعات تنتشر بين المنافقين، وكان على رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول، زعيم المنافقين، الذي بدأ بنشر الأكاذيب عني وصفوان.

تقول السيدة عائشة: "عندما عدنا إلى المدينة، مرضت لشهر كامل، والناس كانوا يتحدثون عن حادثة الإفك، ولم أكن أعلم شيئًا. كان النبي صلى الله عليه وسلم يدخل عليّ ويسلم ويقول: 'كيف تيكم؟' ثم ينصرف، وهذا الأمر زاد من قلقي، حيث لم يكن يعاملني كعادته عندما أمرض.

وبعد أن بدأت أتعافى قليلاً، خرجت مع أم مسطح لقضاء حاجتنا. وفي الطريق، تعثرت أم مسطح في ثوبها وقالت: 'تعس مسطح!' فقلت لها: 'بئس ما قلتِ! أتسبين رجلاً شهد بدرًا؟' فقالت: 'أوَلم تسمعي ما يقول؟' ثم أخبرتني بما يُقال عني. عندها شعرت بمرضٍ آخر فوق مرضي.

عند عودتي إلى البيت، طلبت من النبي صلى الله عليه وسلم الإذن لأذهب إلى بيت والديّ لأتأكد مما يُقال. وعندما وصلت وسألت والدتي، قالت لي: 'يا بنيّة، هوني عليك، فوالله ما كانت امرأة جميلة يحبها زوجها ولها ضرائر إلا كثرن عليها الشائعات'. فقلت: 'سبحان الله! هل تحدث الناس عني بهذا؟' وبدأت أبكي حتى أصبحت.

خلال هذا الوقت، استشار النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد في أمر فراقه لأهله. فأشار أسامة بالخير وقال: 'يا رسول الله، إنّا لا نعلم إلا خيرًا.' بينما قال علي: 'يا رسول الله، النساء غيرها كثير، وسل الجارية تصدقك.' فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الجارية بريرة وسألها: 'يا بريرة، هل رأيت شيئًا يريبك في عائشة؟' فقالت: 'والذي بعثك بالحق، ما رأيت عليها أمرًا أغمصه، سوى أنَّها فتاة صغيرة قد تنام عن العجين فتأكله الدواجن.'

في تلك الأثناء، صعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر في المسجد وقال: 'يا معشر المسلمين، من يعذرني في رجل بلغني أذاه في أهلي؟ والله ما علمت على أهلي إلا خيرًا.' فقام سعد بن معاذ وقال: 'يا رسول الله، إن كان من الأوس، فسنقتله، وإن كان من الخزرج، فسنفعل ما تأمرنا به.' فقام سعد بن عبادة، سيد الخزرج، معترضًا قائلاً: 'كذبت، والله لا تقتله!' فحدث نزاع بين الأوس والخزرج وكادوا أن يقتتلوا، لكن النبي صلى الله عليه وسلم هدأ الموقف.

تقول السيدة عائشة: "بكيت ليلتين ويوماً كاملاً دون توقف، حتى ظننت أن كبدي ستنشق من البكاء. بينما كنت في تلك الحالة، دخل النبي صلى الله عليه وسلم عليّ وجلس. لم يكن قد جلس معي منذ أن بدأت الشائعات، وكان الوحي قد تأخر شهرًا. جلس وقال لي: 'يا عائشة، إن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممتِ بذنب فاستغفري الله وتوبي.' في تلك اللحظة، توقف دمعي وقلت لأبي: 'أجب رسول الله!' فقال: 'والله ما أدري ماذا أقول.' فقلت لأمي: 'أجيبي رسول الله!' فقالت: 'والله ما أدري ماذا أقول.' فقلت: 'والله لقد علمتم بالأمر وصدقتم، فإن قلت إني بريئة لن تصدقوني، وإن اعترفت بشيء لم أفعله فستصدقون، فوالله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف: "فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون."' ثم تحولت إلى فراشي.

لم يخرج النبي صلى الله عليه وسلم أو أحد من أهل البيت حتى نزل الوحي. فشعر النبي بالثقل الذي ينزل عليه أثناء الوحي، وتصبب العرق منه مثل اللؤلؤ رغم أن الجو كان باردًا. وبعد أن انتهى الوحي، استبشر النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت أول كلمة قالها: 'يا عائشة، أما الله فقد برأك.'"

ثم نزلت الآيات من سورة النور التي تبرئ السيدة عائشة: "إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ..." وعندما سمعت هذه الآيات، قالت لي أمي: 'قومي إلى النبي.' فقلت: 'والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله.'

بعد نزول الآيات، قرر أبو بكر الصديق، الذي كان ينفق على مسطح بن أثاثة بسبب قرابته وفقره، أن يقطع عنه النفقة بسبب مشاركته في حديث الإفك. ولكن بعد نزول الآية: "وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ..." عاد أبو بكر إلى الإنفاق على مسطح وقال: 'والله لا أنزعها منه أبدًا.'

سأل النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش عن السيدة عائشة فقالت: 'يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت إلا خيرًا.' وكانت زينب تنافس السيدة عائشة، ولكن الله عصمها بورعها. أما أختها حمنة بنت جحش، فكانت ممن ساهموا في نشر الشائعات وهلكت مع من هلك في حادثة الإفك.

قال عروة: "وكان الرجل الذي أُشير إليه في الحادثة، صفوان بن المعطل، قد قال: 'سبحان الله! ما كشفت كنف امرأة قط.' ثم قُتل بعد ذلك في سبيل الله."

المبحث الثاني

آيات الإفك في التأصيل البحثي

المطلب الأول: تحديد آيات الإفك:

لقد ثبتت حادثة الإفك عند إمام المحدثين الإمام البخاري وعند غيره، وأنّها نزلت في الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، وأنّ أوّل الآيات النازلة في هذه الحادثة قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[١] [٢] وقد كان للعلماء في تحديد آيات الإفك أقولاً وهي كما يأتي:

١- (عشر آيات) لقد ثبت عند الإمام مسلم من المحدثين وإمام المفسرين الطبري وغيره تصريح أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بأنها عشر ايات قالت فأنزل الله قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[٣] فأنزل الله في هذه الآيات براءتي .

ويقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي[٤]: " وقصة الإفك معروفة مشهورة ثابتة في عشر آيات من هذه السورة الكريمة، وفي الأحاديث الصحاح".[٥]

٢– (بضع عشر آية): يقول صاحب غرائب القرآن ورغائب الفرقان: "وأنّه نزلت فيه بضع عشرة آية فيها تعظيم شأن الرسول ﷺ وتسلية له وتنزيه لأم المؤمنين وتطير لأهل البيت وتهويل للطاعنين فيهم إلى غير ذلك من الأحكام الشرعية والآداب العقلية"[٦]

٣– (ست عشرة آية)[٧]

---

(١) سورة النور: ١١

(٢) صحيح البخاري (الجامع الصحيحة المختصر) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي. ١٤٠٧هـ. دار ابن كثير. اليمامة. كتاب الشهادات باب تعديل النساء بعضهن بعضاً ح (٢٥١٨)

(٣) سورة النور: ١١

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي الشنقيطي. دار عالم الفوائد ١٧٨/٦

(٥) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (تفسير النيسابوري) نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري. ١٤١٦هـ. دار الكتب العلمية. بيروت. ط١. ١٦٧/٥.

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأنلسي. ١٤٢٢هـ. دار الكتب العلمية. بيروت –لبنان. ط١. ١٦٨/٤

٤ – (سبع عشرة آية)[١]

٥ –(ثماني عشرة آية)[٢]

وأرى أنَّ الأرجح بضع عشرة آية لأنَّها أعم وأشمل والله أعلم.

المطلب الثاني: سبب نزول الآيات:

إنّ النظر في كتب أهل العلم من المحدثين والمفسرين والمؤرخين يجد اتفاقهم على سبب نزول آيات حادثة الإفك الواردة في سورة النور والذي فيه اتهام أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها والصحابي الجليل صفوان بن المعطل والتي جرت أحداثها بعد غزوة المريسيع[٣] وهذه الغزوة هي إحدى غزوات النبي صلي الله عليه وسلم مع المنافقين. وكانت أحداثها عند أصحاب المغازي سنة ٥هـ وعند ابن إسحاق في ٢ شعبان سنة ٦هـ وهو أصح الأقوال، تكتسب غزوة بني المصطلق أهمية خاصة في التاريخ الإسلامي بسبب وقوع حادثة الإفك فيها، وفضلا عن المحاولات التي بذلها المنافقون لإحداث الفتنة بين المهاجرين والأنصار. وكان سبب الغزوة أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم علم بتجمع قبيلة بني المصطلق بقيادة الحارث بن أبي ضرار بهدف الإغارة على المدينة. فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم بريدة بن الحصين الأسلمي للتحقق من صحة الخبر، وعندما تأكد من ذلك، جمع النبي صلى الله عليه وسلم سبعمائة مقاتل وثلاثين فرسًا، وخرج إليهم في ٢ شعبان سنة ٦هـ لرد شرهم قبل أن يشكلوا خطرًا على المدينة. وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى منطقة تُعرف بماء المريسيع، وفاجأهم بالإغارة عليهم وهم غافلون، فقتل مقاتليهم وغنم المسلمون غنائم كثيرة.

من بين السبايا كانت جويرية بنت الحارث، ابنة زعيم القبيلة، والتي كانت زوجة لابن عمها مسافع بن صفوان الذي قُتل في المعركة. وقعت جويرية في سهم ثابت بن قيس، وبعدها أصبحت ملك يمين النبي صلى الله عليه وسلم، ثم تزوجها النبي بعد أن دفع عنها فداءها لثابت بن قيس.

في هذه الغزوة، كشف المنافقون عن حقدهم على الإسلام، وازداد غيظهم بانتصار المسلمين، فسعوا لإثارة الفتنة بين المهاجرين والأنصار، إلَّا أنَّ محاولتهم باءت بالفشل. كما

---

(١) تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم. أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي. ١٤١٣هـ–١٩٩٣م. دار الكتب العلمية.. بيروت –لبنان. ط٤٣١/١٢

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري. ١٤١٨هـ. مكتبة العبيكان. الرياض. ط١. ٢٧٣/٤

(٣) وهي غزوة بني المصطلق.

سعى عبد الله بن أبي بن سلول زعيم المنافقين إلى تعطيل جهود النبي في الدعوة، ومنع الأموال من أن تُدفع لذلك. وصرح بنواياه الشريرة قائلاً: "لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل"، في إشارة إلى عزمه على طرد النبي صلى الله عليه وسلم. وعندما علم النبي بما قاله، استدعاه هو وأصحابه فأنكروا وحلفوا أنَّهم لم يقولوا شيئًا. فنزلت سورة المنافقين لتكذيبهم، وفيها يقول الله تعالى: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[١]

وعلى الرغم من أنَّ غزوة بني المصطلق لم تكن من الغزوات الكبرى، حيث لم يطل الصراع فيها ولم يكن عدد القتلى كبيرًا، إلَّا أنَّ أهميتها تكمن في الآثار الخبيثة التي حاول المنافقون إحداثها. فبعد أن رأوا الانتصارات الكثيرة والغنائم الوفيرة التي حققها المسلمون بعد غزوة الأحزاب، انضموا إلى صفوف المسلمين طمعًا في الغنائم، وكانوا على وشك التسبب في أزمات خطيرة تهدد كيان الدولة الإسلامية. يقول الله تعالى عن هؤلاء المنافقين:﴿ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَۖ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٢]

وفي هذا المطلب بإذن الله تعالى أتكلم عن أقوال أهل العلم في إثبات النزول بسبب تلك الحادثة.

وبعد البحث والتقصي وجدت كلاماً لبعض المفسرين يحي فيه الإجماع على أنَّ سبب نزول هذه الآيات هو تبرئة أم المؤمنين عائشة ورضوان رضي الله عنهما، يقول ابن الجوزي: "قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ ﴾ أجمع المفسرون أنّ هذه الآية وما يتعلق بها بعدها نزلت في قصة السيدة عائشة رضي الله عنها[٣].

ويقول فخر الدين الرازي: "وأجمع المسلمون على أنّ المراد ما أفك به على عائشة رضي الله عنها" [٤]

---

(١) سورة المنافقون: ٧ – ٨

(٢) سورة التوبة: ٤٧

(٣) زاد الميسر في علم التفسير. الإمام أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي. ١٤٠٤هـ . المكتب الإسلامي. ط٣. ١٧/٦

(٤) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب. الإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر. ١٤٠١هـ – ١٩٨١م . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. لبنان – بيروت. ط١. ١٧٣/٣٣

ويقول الشوكاني: "وأجمع المسلمون على أنّ المراد بما في الآية ما وقع من الإفك على عائشة أم المؤمنين" (١)

وبعد استعراض أقوال أهل العلم وإجماع المسلمين نخرج من ذلك بأنّ سبب نزول الآيات هو تبرئة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وصفوان بن معطل ﷺ ممَّا نسب إليهما من إفك واتهامهما بالزنا.

وهذا ما وقفت عليه في أثناء اطلاعي على كتب أهل التفسير والحديث والتاريخ بما يخص سبب نزول آيات حادثة الإفك والله تعالى أعلم.

المطلب الثالث: المعنى الإجمالي للآيات:

لقد ظهر بديع كلام الله في سورة النور إذ جعل أولها تعظيم أمر الزنا، والقذف به، ثم أتبع ذلك بذكر حادثة الإفك، والتي فيها قذف الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما، وبالتالي الطعن في النبي ﷺ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢)

أي: إنَّ الذين جاءوا بالكذب والبهتان (عُصْبَةٌ مِنْكُمْ) يقول: جماعة منكم أيّها الناس﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ ﴾ يقول: لا تظنوا ما جاءوا به من الإفك شرًا لكم عند الله وعند الناس، بل ذلك خير لكم عنده وعند المؤمنين، وذلك أنَّ الله يجعل ذلك كفارة للمرمي به ويظهر براءته ممَّا رمي به، ويجعل له منه مخرجا. وقيل : إنَّ الذي عنى الله بقوله:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ ﴾ جماعة، منهم حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش.

كما روي عن عروة: أنَّه كتب إلى عبد الملك بن مروان: كتبت إلي تسألني في الذين جاءوا بالإفك ، وهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ ﴾ وأنَّه لم يسم منهم أحد إلَّا حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش، وهو يقال في آخرين لا علم لي بهم؛ غير أنَّهم عصبة كما قال الله .

وروي عن ابن جريج ومجاهد، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ ﴾ هم أصحاب عائشة، قال ابن جريج : قال ابن عباس: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ ﴾ الذين

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. محمد بن علي بن محمد الشوكاني. ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م . دار عالم الكتب . الرياض. المملكة العربية السعودية. ١٢/٤

(٢) سورة النور: ١١

افتروا على عائشة: عبد الله بن أبي، وهو الذي تولى كبره، وحسان بن ثابت، ومسطح، وحمنة بنت جحش

وروى البخاري أيضًا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ، قوله : (عُصْبَةٌ مِّنكُمْ) قال : أصحاب عائشة عبد الله بن أبي ابن سلول ، ومسطح ، وحسان . قال أبو جعفر :له من الله عذاب عظيم يوم القيامة . وقد اختلفت القراء في قراءة قوله : (كبره) فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار: (كبره) بكسر الكاف، سوى حميد الأعرج، فإنَّه كان يقرؤه " كبره " بمعنى: والذي تحمل أكبره. وأولى القراءتين في ذلك بالصواب : القراءة التي عليها عوام القراء، وهي كسر الكاف، لإجماع الحجة من القراء عليها، وأنَّ الكبر بالكسر: مصدر الكبير من الأمور، وأنَّ الكبر بضم الكاف إنَّما هو من الولاء والنسب من قولهم: هو كبر قومه، والكبر في هذا الموضع: هو ما وصفناه من معظم الإثم والإفك. فإذا كان ذلك كذلك، فالكسر في كافه هو الكلام الفصيح دون ضمها، وإن كان لضمها وجه مفهوم. وقد اختلف أهل التأويل في المعني بقوله ﴿ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ فقال بعضهم: هو حسان بن ثابت ذكر من قال ذلك: حدثنا الحسن بن قزعة ، قال : ثنا مسلمة بن علقمة، قال : ثنا داود ، عن عامر ، أن عائشة قالت : ما سمعت بشيء أحسن من شعر حسان ، وما تمثلت به إلا رجوت له الجنة)[1]

(١) صحيح البخاري. كتاب فضائل الصحابة باب حديث الإفك ح (٣٩١٠)، تفسير الطبراني الجزء ١٩ ص١١٦

المبحث الثالث

آيات الإفك من المنظور الشرعي

المطلب الأول: الأحكام المستنبطة من الحادثة:

قوله جل شأنه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١)

بيان الخيرية:

يقول ابن جزي: "والخير في ذلك من خمسة أوجه: تبرئة أم المؤمنين، وكرامة الله لها بإنزال الوحي في شأنها، والأجر الجزيل لها في الفرية عليها، وموعظة المؤمنين، والانتقام من المفترين"(٢)

ويقول الجزائري: "قضاء الله تعالى للمؤمن كله خير له"(٣)

عظم هذا الإفك:

يقول الجزائري: "بشاعة الإفك وعظيم جرمه – العقوبة على قدر الجرم كبراً وصغراً قلة وكثرة".(٤)

قال تعالى : ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾ (٥)

التثبت عند سماع الأخبار:

يقول القرطبي: "فأوجب الله على المسلمين إذا سمعوا رجلاً يقذف أحداً ويذكره بقبيح لا يعرفونه به أن ينكروا عليه ويكذبوه، وتوعد من ترك ذلك ومن نقله"(٦)

ويقول الجزائري: "واجب المؤمن أن لا يصدق من يرمي مؤمناً بفاحشة، وأن يقول له هل تستطيع أن تأتي بأربعة شهداء على قولك فإن قال لا قال له إذاً أنت عند الله من الكاذبين"(٧)

---

(١) سورة النور: ١١

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل. الإمام أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي. ١٤١٥هـ. دار الكتب العلمية. بيروت – لبنان. ط١. ٨٤/٢–٨٥

(٣) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير. أبو بكر جابر الجزائري. ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م . طبعة خاصة بالمؤلف. ط١. ٥٥٥/٣

(٤) المصدر نفسه ٥٥٥/٣

(٥) سورة النور: ١٢ – ١٣

(٦) الجامع لأحكام القرآن أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. ١٤٣٢هـ. دار الكتاب العربي. بيروت– لبنان. ط٤ .١٨١/١٢

(٧) أيسر التفاسير: ٥٥٥/٣

أدب من الله تعالى للمؤمنين:

يقول القرطبي: "أنّه كان ينبغي أن يقيس فضلاء المؤمنين والمؤمنات الأمر على أنفسهم، فإن كان ذلك يبعد فيهم فذلك في عائشة وصفوان أبعد"(١)

ويقول ابن كثير: "هذا تأديب من الله تعالى للمؤمنين في قصة السيدة عائشة رضي الله عنها حين أفاض بعضهم في ذلك الكلام السيء، وما ذكر من شأن الإفك، قال تعالى: {لولا} يعني: هلا {إذا سمعتموه} أي ذلك الكلام أي الذي رميت به أم المؤمنين رضي الله عنها {ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً} أي قاسوا ذلك الكلام على أنفسهم، فإن كان لا يليق بهم فأم المؤمنين أولى بالبراءة منه بطريق الأولى والأحرى"(٢)

وجوب الإتيان بالحجة والبينة:

وقد يعجز الرجل عن إقامة البينة وهو صادق في قذفه، ولكنه في حكم الشرع وظاهر الأمر كاذب لا في علم الله تعالى، وهو سبحانه إنّما رتب الحدود على حكمه الذي شرعه في الدنيا لا على مقتضى علمه الذي تعلق بالإنسان على ما هو عليه، فإنّما يبنى على ذلك حكم الآخرة ... وأجمع العلماء أنّ أحكام الدنيا على الظاهر، وأنّ السرائر إلى الله تعالى"(٣)

رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين:

يقول القرطبي: "وهذا عتاب من الله تعالى بليغ، ولكنه برحمته ستر عليكم في الدنيا ويرحم في الآخرة من أتاه تائباً"(٤)

قال تعالى: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٥)

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١٨١/١٢

(٢) تفسير القرآن العظيم. الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي. دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع. المملكة العربية السعودية ١٩٢/١٠

(٣)الجامع لأحكام القرآن: ١٨٢/١٢

(٤) المصدر السابق: ١٨٢/١٢

(٥) سورة النور: ١٥–١٨

حرمة القول بدون علم والخوض في ذلك[١]

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [٢]

إقامة الحد في الدنيا:

قال الماوردي: "واختلف هل حد النبي ﷺ أصحاب الإفك على قولين:

أحدهما: أنّه لم يحدّ أحداً منهم؛ لأنّ الحدود إنّما تقام بإقرار أو بينة ولم يتعبدنا الله أن نقيمها بإخباره عنها كما لم يتعبدنا بقتل المنافقين وإن أخبر بكفرهم.

والقول الثاني: أنّ النبي ﷺ حد في الإفك حسان بن ثابت وعبد الله بن أبي ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش وكانوا ممن أفصح بالفاحشة.

قال القرطبي معلقاً على كلام الماوردي: "قلت: المشهور من الأخبار والمعروف عند العلماء أنّ الذي حد حسان ومسطح وحمنة، ولم يسمع بحد لعبد الله بن أبي"[٣]

الغرض من إقامة الحد من عدمه:

يقول القرطبي: "... فائدة الحد، إذ مقصودة إظهار كذب القاذف وبراءة المقذوف.. قال علماؤنا: وإنّما لم يحد عبد الله بن أبي لأنّ الله تعالى قد أعد له في الآخرة عذاباً عظيماً، فلو حد في الدنيا لكان ذلك نقصاً من عذابه في الآخرة وتخفيفاً عنه ... وإنّما حد هؤلاء المسلمون لتكفر عنهم إثم ما صدر عنهم من القذف حتى لا يبقى عليهم تبعة من ذلك في الآخرة"[٤]

ويقول: "وقد بينا أنّ الحد للمؤمنين كفارة"[٥]

قال تعالى: ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [٦]

يقول الجزائري:

١- حرمة اتباع الشيطان فيما يزينه من الباطل والسوء والفحشاء والمنكر.

٢- متابعة الشيطان والجري وراءه في كل ما يدعو إليه يؤدي بالعبد أن يصبح شيطاناً يأمر بالفحشاء والمنكر.

---

(١) أيسر التفاسير: ٥٥٥/٣

(٢) سورة النور : ١٩

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١٨٠/١٢

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ١٨٠/١٢

(٥) المصدر السابق: ١٨٥/١٢

(٦) سورة النور: ٢١

٣- على من حفظهم الله من الوقوع في السوء أن لا يشعروا بالكبر فإن عصمتهم من الله تعالى لا من أنفسهم.(١)

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ (٢)

بيان فضل أبي بكر الصديق ﷺ:

يقول الصابوني: "هذه الآية شهادة عظيمة من الله سبحانه بفضل أبي بكر وأنّه أفضل الصحابة"(٣)

قال الرازي: " أجمع المفسرون على أنّ المراد من قوله تعالى: **(أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ)**، وهذه الآية تدل على أنّه ﷺ كان أفضل الناس بعد الرسول ﷺ لأنّه تعالى ذكره في معرض المدح له، والمدح من الله تعالى بالدنيا غير جائز لأنّه لو أريد به الفضل في الدنيا لكان قوله {والسعة} تكريراً... فتعين أن يكون المراد منه الفضل في الدين .. فلما أثبت الله له الفضل المطلق وجب أن يكون أفضل الصحابة بعد رسول الله ﷺ.(٤)

يقول أبو السعود: قوله تعالى: {أولو الفضل منكم} في الدين، وكفى به دليلاً على فضل الصديق ﷺ "(٥)

كبائر الذنوب لا تحبط العمل:

يقول القرطبي: "في هذه الآية دليل على أنّ القذف وإن كان كبيراً لا يحبط الأعمال؛ لأنَّ الله تعالى وصف مسطحاً بعد قوله بالهجرة والإيمان، وكذلك سائر الكبائر؛ ولا يحبط الأعمال غير الشرط بالله".(٦)

ويقول: "من حلف على شيء لا يفعله فرأى فعله أولى منه أتاه وكفر عن يمينه، أو كفر عن يمينه وأتاه.. ورأى الفقهاء أنّ من حلف ألا يفعل سنة من السنن أو مندوباً وأبّد ذلك أنها جرحة في شهادته؛ ذكره الباجي في المنتقى"(٧)

---

(١) أيسر التفاسير: ٥٥٩/٣

(٢) سورة النور: ٢١

(٣) روائع البيان تفسير آيات الأحكام. محمد علي الصابوني. ١٤٠١هـ . مكتبة الغزالي. دمشق ط٣. ١٠٦/٢

(٤) تفسير الرازي: ١٨٨/٣٣

(٥) تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. قاضي القضاة أبو العسود محمد بن محمد. دار العمادي. لبنان ١٦٥/٦

(٦) الجامع لأحكام القرآن: ١٨٦/١٢

(٧) المصدر السابق ١٨٦/١٢

ويقول الشنقيطي: "في هذه الآية الكريمة دليل على أنّ كبائر الذنوب لا تحبط العمل الصالح؛ لأنّ هجرة مسطح بن أثاثة من عمله الصالح، وقذفه لعائشة من الكبائر، ولم يبطل هجرته؛ لأنّ الله قال فيه بعد قذفه لها: {والمهاجرين في سبيل الله} فدل ذلك على أنّ هجرته في سبيل الله، لم يحبطها قذفه لعائشة رضي الله عنها".[١]

العفو عن المسيء:

- اتفق الفقهاء على أنّ العفو والصفح عن المسيء حسن ومندوب إليه لقوله تعالى: {وليعفوا وليصفحوا} والأمر هنا للندب والإرشاد، وليس للوجوب؛ لأنّ الإنسان يجوز له أن يقتص ممّن أساء إليه، فلو كان العفو واجباً لما جاز طلب القصاص، ومما يدل لرأي الفقهاء قوله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٢][٣]

- وجوب العفو والصفح على ذوي المروءات وإقالة عثرتهم إن هم تابوا وأصلحوا.[٤]

الكفارة على من حنث في يمينه:

١- ذهب جمهور الفقهاء إلى أنّ من حلف على يمين، فرأى غيرها خيراً منها، ينبغي له أن يأتي الذي هو خير، ثم يكفّ عن يمينه؛ لقوله ﷺ : ((من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها، فليأتي الذي هو خير، وليكفّر عن يمينه))[٥]

فتجب الكفارة بالحنث في اليمين، سواء كان الحنث في أمر فيه خير أو غير ذلك، وبه قال الرازي.[٦]

٢- وقال بعضهم: إنّه يأتي بالذي هو خير وليس عليه كفارة ليمينه، واستدلوا بظاهر هذه الآية: {ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة} ووجه الاستدلال أنّ الله تعالى أمر أبا بكر بالحنث ولم يوجب عليه كفارة.[٧]

٣- من حلف على شيء لا يفعله أو يفعله ورأى أنّ غيره خير منه كفر عن يمينه وفعل الذي هو خير.[٨]

---

(١) أضواء البيان: ١٨٢/٦

(٢) سورة الشورى: ٤٠

(٣) روائع البيان: ١١٠/٢

(٤) أيسر التفاسير: ٥٥٩/٣

(٥) صحيح مسلم كتاب الأيمان. باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه ح (١٦٥٠).

(٦) ينظر: تفسير الرازي: ١٩٢/٢٣-١٩٣

(٧) روائع البيان: ١١٠/٢

(٨) تفسير الرازي ١٩٢/٢٣

إثبات براءة أم المؤمنين:

ولقد برّأ الله تعالى أربعة بأربعة: كما برأ يوسف بلسان الشاهد: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ [١] ، وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه، وبرّأ مريم بإنطاق ولدها حيث نادى من حجرها: (إني عبد الله)، وبرّأ عائشة رضي الله عنها بهذه الآيات العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر.[٢]

ومثل هذه التبرئة بهذه المبالغات، فانظر كم بينها وبين تبرئة أولئك وما ذاك إلا لإظهار علو منزلة رسول الله ﷺ والتنبيه على إنافة محل سيد ولد آدم، وخيرة الأولين والآخرين وحجة الله على العالمين، ومن أراد أن يتحقق عظمة شأنّه ﷺ وتقدم قدمه وإحرازه لقصب السبق دون كل سابق، فليتلق ذلك من آيات الإفك، وليتأمّل كيف غضب الله في حرمته، وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابه.[٣]

وفي هذه الآيات براءة أم المؤمنين وصفوان مما رماهما به أهل الإفك، وبشارة أم المؤمنين وصفوان بالجنة بعد مغفرة ذنوبهما.[٤]

له مغفرة وزرق كريم ولا يكون الرزق بعد المغفرة إلا الجنة كأعظمه فهما من أهل الجنة.

المطلب الثاني: أدلة براءة السيدة عائشة رضي الله عنها:

إنَّ المتأمل والناظر في حال أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قبل حادثة الإفك وفي الحادثة نفسها يجد أنّ هناك أدلة شرعية وعقلية وواقعية من حال السيدة عائشة رضي الله عنها تبرؤها مما قذفت به أو مدركة قبل الحادثة أو خافية وجليت بعد الحادثة؛ ولعل بهول المصيبة وعظمها أنسيت وخفيت تلك الأدلة على النبي ﷺ وعائشة وأبي بكر وأم رومان – أم عائشة – وعن المؤمنين رضي الله عنهم وهي من حكم الله تعالى في خلقه؛ ومن جملة الأدلة التي تبرّء السيدة عائشة رضي الله عنها قبل نزول براءتها من فوق سبع سماوات أقول وبالله التوفيق:

١- كونها زوجاً لخير الخلق ﷺ يحبها وتحبه وفي الحديث عن عمر بن العاص ﷺ يقول: أنّ النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت له: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، فقلت من الرجال؟ قال: أبوها" ... الحديث[٥]

---

(١) سورة يوسف: ٢٦

(٢) الكشاف: ٢٨١/٤

(٣) المصدر السابق: ٢٨١/٤

(٤) أيسر التفاسير: ٥٦١/٣

(٥) صحيح البخاري: كتاب الشهادات باب تعديل النساء بعضهن بعضاً كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً ح(٣٤٦٢)

٢- خُلُق السيدة عائشة وحصانتها والمنزل الذي تربت فيه والذي انتقلت إليه وهي غافلة محصنة طيبة، يقول حسان بن ثابت ﷺ: حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل[١]

٣-حادثة الإفك مع من؟! مع رجل صالح زكاه النبي ﷺ وهو صفوان بن المعطل ﷺ: ((ما علمت عليه إلا خيراً))[٢]

٤-لو زنت لم تأتِ في وضح النهار وبمرأى من الناس مع من اتهمت به.

٥-كون القاذف هو عدو والأصل أنّه لا يقبل قول الخصم في خصمه.

٦-عدم وجود الشهود، وعدم وجود الرائي أصلاً.

٧-نقل الخبر دون تحقق وتثبت ودون روية ومزيد تأمل

٨-شهرة السيدة عائشة رضي الله عنها عند الناس ومعرفة حالها وأهلها وزوجها فمكانة الإنسان تمنعه من كثير من المباحات فكيف بمثل هذه الجريمة.

٩-وبعد ذلك كله فإنّ الطعن في السيدة عائشة طعن في النبي ﷺ ، والطعن فيه طعن في الله ولذلك قال: {سبحانك}.

هذه بعض الأدلة على براءة السيدة عائشة رضي الله عنها والتي خفيت على كثير ممن عاصر تلك الحادثة، ومن كرم الله لها ولرسوله ﷺ ولأهلها ولصفوان أن كان الذي برأها هو الله من فوق سبع سماوات، فسبحان الله ربي ما أعظمه وأعلمه وأحكمه.

(١) صحيح البخاري: كتاب الشهادات باب تعديل النساء بعضهن بعضاً كتاب فضائل الصحابة باب الإفك ح (٣٩١٥)

(٢) المصدر السابق: كتاب الشهادات باب تعديل النساء بعضهن بعضاً كتاب الشهادات، باب إذا عدل رجل أحد فقال لا تعلم إلا خيراً أو قال ما علمت إلا خيراً ح (٢٤٩٤)

الخاتمة

الحمد لله حمداً كثيراً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشكره على ما سهل لي ويسر من إتمام هذه الراسة بعونه وتوفيقه.

ختامًا، تعد آيات الإفك في سورة النور حدثًا بارزًا في السيرة النبوية، ليس فقط لما حملته من اتهام باطل للسيدة عائشة رضي الله عنها، بل لما أظهرت من حكمة إلهية وعدالة ربانية في تبرئة الطاهرة، وفضح المنافقين وكشف نواياهم السيئة. جاءت هذه الآيات لتعلم الأمة الإسلامية دروسًا عظيمة حول أهمية التثبت قبل تصديق الشائعات، وضرورة تحري الحق والعدل في الأحكام، والتعامل مع الفتن بالحكمة والصبر.

كما أظهرت هذه الحادثة كيف أن الأزمات التي واجهت المسلمين كانت دوماً فرصة لتأكيد المبادئ الأخلاقية للإسلام وتثبيت أسس الوحدة بين أفراد المجتمع المسلم. فالحادثة لم تكن مجرد أزمة شخصية، بل كانت اختبارًا لمدى قوة تماسك المجتمع الإسلامي وصلابة إيمانه.

إن الدراسة التفسيرية التحليلية لهذه الآيات تقدم لنا عمقًا في فهم كيفية تعامل الإسلام مع التحديات الداخلية، وتؤكد على أهمية الصدق والأمانة في القول والعمل، وتوضح كيف أن الله سبحانه وتعالى يحقق العدالة في الوقت المناسب. تظل آيات الإفك مرجعًا تربويًا ودينيًا لمن أراد استخلاص العبر، وتبقى مثالًا على حكمة الوحي في توجيه الأمة نحو الخير والصلاح.

ولعل من أبرز ما يسطر في خاتمة هذه الدراسة الإشارة إلى أهم النتائج والتوصيات التي تم التوصل إليها.

ومن أهم النتائج التي خلص إليها البحث:

- إثبات براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها والصحابي الجليل صفوان ﷺ من فوق سبع سماوات بآيات من القرآن الكريم تتلى إلى قيام الساعة.
- إجماع المسلمين أنّ آيات الإفك نزلة في براءة السيدة عائشة وصفوان رضي الله عنهما.
- علو شأن السيدة عائشة وبيان فضلها عند الله.
- بيان الآداب الرفيعة والسامية من الله تعالى لعباده المؤمنين.

توصيات الدراسة:

- تكثيف البحث العلمي سواء التفسيري أو غيره ببيان شأن زوجات النبي ﷺ وأنّهن من آل بيته، وشأن صحابته رضي الله عنهم.
- نشر الثقافة العامة لعامة الناس عن أمهات المؤمنين وبيان فضلهم.

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم .
٢. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي الشنقيطي. إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد. دار عالم الفوائد.
٣. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجل والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين. الطبعة الخامسة عشر. بيروت لبنان ٢٠٠٢م
٤. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير. أبو بكر جابر الجزائري. طبعة خاصة بالمؤلف. ط١. ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م
٥. التسهيل لعلوم التنزيل. الإمام أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي. ضبطه وصححه وخرج أحاديثه محمد سالم هاشم. دار الكتب العلمية. بيروت – لبنان. ط١. ١٤١٥هـ
٦. تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. قاضي القضاة أبو العسود محمد بن محمد. دار العمادي. لبنان.
٧. تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم. أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض – الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الدكتور زكريا عبد المجيد النوتي. دار الكتب العلمية. ط١. بيروت – لبنان. ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.
٨. تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب. الإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. لبنان – بيروت. ط١.١٤٠١هـ – ١٩٨١م
٩. تفسير القرآن العظيم. الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي. تحقيق مصطفى السيد محمد. ومحمد السيد رشاد. ومحمد فضل العجماوي. وعلي أحمد عبد الباقي. وحسن عباس قطب. دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع. المملكة العربية السعودية.
١٠. الجامع لأحكام القرآن أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. تحقيق عبد الرزاق مهدي. دار الكتاب العربي. بيروت – لبنان. ط٤. ١٤٣٢هـ.
١١. روائع البيان تفسير آيات الأحكام. محمد علي الصابوني. مكتبة الغزالي. دمشق مؤسسة مناهل العرفان – بيروت. ط٣. ١٤٠١هـ
١٢. زاد الميسر في علم التفسير. الإمام أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي. المكتب الإسلامي. ط٣. ١٤٠٤هـ

١٣. صحيح البخاري (الجامع الصحيحة المختصر) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي. مراجعة د.مصطفى ديب البغا. دار ابن كثير. اليمامة. بيروت. ١٤٠٧هـ.
١٤. صحيح مسلم أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. مراجعة محمد فؤاد عبد الباقي. دار إيحاء التراث العربي. بيروت. ١٣٧٤هـ
١٥. غرائب القرآن ورغائب الفرقان (تفسير النيسابوري) نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري. تحقيق: الشيخ زكريا عميرات. دار الكتب العلمية. بيروت. ط١.١٤١٦هـ
١٦. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. محمد بن علي بن محمد الشوكاني. دار عالم الكتب . الرياض. المملكة العربية السعودية. ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م
١٧. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري. تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض وشارك في تحقيقه الأستاذ الدكتور فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي. مكتبة العبيكان. الرياض. ط١. ١٤١٨هـ
١٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي. تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد. دار الكتب العلمية. بيروت –لبنان. ط١. ١٤٢٢هـ
١٩. المنثور في القواعد. بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي الشافعي. تحقيق: تيسير فائق أحمد محمود. راجعه عبد الستار أبو غدة. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الكويت. ط١ ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م

References

1. Qur'an
2. Lights of Explanation in Clarifying the Qur'an with the Qur'an. Sheikh Muhammad al-Amin bin Muhammad al-Mukhtar al-Janki al-Shanqiti. Supervised by Bakr bin Abdullah Abu Zaid. Dar Alam al-Fawa'id
3. Al-A'lam, a dictionary of biographies of the most famous Arab, Arabist, and Orientalist men and women, Khair al-Din al-Zarkali. Dar al-Ilm Lil-Malayin. Fifteenth edition. Beirut, Lebanon, 2002.
4. The Easiest Interpretations of the Words of the Most High, the Great. Abu Bakr Jaber Al-Jazaery. Special edition by the author. 1st ed. 1414 AH – 1993
5. At-Tashil li-Ulum al-Tanzil. Imam Abu al-Qasim Muhammad ibn Ahmad ibn Juzay al-Kalbi. Edited, authenticated and hadiths narrated by Muhammad Salim Hashim. Dar al-Kutub al-Ilmiyyah. Beirut - Lebanon. 1st ed. 1415 AH
6. Abu Al-Suud's interpretation called "Guidance of the Sound Mind to the Merits of the Holy Qur'an." Chief Justice Abu Al-Aswad Muhammad bin Muhammad. Dar Al-Amadi. Lebanon.
7. Al-Samarqandi's Interpretation, called Bahr al-Ulum. Abu al-Layth Nasr bin Muhammad bin Ahmad bin Ibrahim al-Samarqandi, edited and annotated by Sheikh Ali Muhammad Mu'awwad – Sheikh Adel Ahmad Abd al-Mawjoud – Dr. Zakaria Abd al-Majid al-Nuti. Dar al-Kutub al-Ilmiyyah. 1st ed. Beirut – Lebanon. 1413 AH - 1993 AD.
8. Tafsir Al-Fakhr Al-Razi, known as the Great Tafsir and Keys to the Unseen. Imam Muhammad Al-Razi Fakhr Al-Din Ibn Al-Allama Diaa Al-Din Omar. Dar Al-Fikr for Printing, Publishing and Distribution. Lebanon - Beirut. 1st edition, 1401 AH - 1981 AD
9. Interpretation of the Great Qur'an. Al-Hafiz Imad al-Din Abu al-Fida Ismail bin Katheer al-Dimashqi. Edited by Mustafa al-Sayyid Muhammad, Muhammad al-Sayyid Rashad, Muhammad Fadl al-Ajmawi, Ali Ahmad Abd al-Baqi, and Hassan Abbas Qutb. Dar Alam al-Kutub for Printing, Publishing, and Distribution. Kingdom of Saudi Arabia.
10. The Compendium of the Rulings of the Qur'an, Abu Abdullah Muhammad bin Ahmad al-Ansari al-Qurtubi. Edited by Abdul Razzaq Mahdi. Dar al-Kitab al-Arabi. Beirut - Lebanon. 4th ed. 1432 AH
11. Masterpieces of Eloquence: Interpretation of the Verses of Rulings. Muhammad Ali al-Sabuni. Al-Ghazali Library. Damascus, Manahil al-Irfan Foundation - Beirut. 3rd ed. 1401 AH

12. Zad Al-Maysar in the Science of Interpretation. Imam Abu Al-Faraj Jamal Al-Din Abdul Rahman bin Ali bin Muhammad Al-Jawzi Al-Qurashi Al-Baghdadi. Islamic Office. 3rd edition. 1404 AH
13. Sahih Al-Bukhari (The Abridged Collection of Authentic Hadiths) Abu Abdullah Muhammad bin Ismail Al-Bukhari Al-Ja'fi. Reviewed by Dr. Mustafa Dib Al-Bugha. Dar Ibn Kathir. Al-Yamamah. Beirut. 1407 AH. 14. Sahih Muslim Abu Al-Hussein Muslim bin Al-Hajjaj Al-Qushayri Al-Nishaburi. Reviewed by Muhammad Fuad Abdul-Baqi. Dar Ihaa Al-Turath Al-Arabi. Beirut. 1374 AH
14. Sahih Muslim Abu al-Husayn Muslim bin al-Hajjaj al-Qushayri al-Naysaburi. Reviewed by Muhammad Fuad Abd al-Baqi. Dar Iha'a al-Turath al-Arabi. Beirut. 1374 AH
15. The Oddities of the Qur'an and the Desires of the Criterion (Al-Naysaburi's Interpretation) by Nizam al-Din al-Hasan bin Muhammad bin Hussein al-Qummi al-Naysaburi. Investigation: Sheikh Zakaria Umayrat. Dar al-Kutub al-Ilmiyyah. Beirut. 1st edition, 1416 AH
16. Fath Al-Qadir, the Comprehensive Book of the Two Arts of Narration and Knowledge from the Science of Interpretation. Muhammad bin Ali bin Muhammad Al-Shawkani. Dar Alam Al-Kutub. Riyadh. Kingdom of Saudi Arabia. 1424 AH - 2003 AD
17. Al-Kashaf 'an Fakīq ghāmidh al-Tanzīl wa-'ūn al-Aqāwīl fi Wujub al-Ta'wīl. The scholar Jar Allah Abu al-Qasim Mahmud ibn 'Umar al-Zamakhshari. Investigation, commentary and study by Sheikh Adel Ahmad 'Abd al-Mawjūd and Sheikh Ali Muhammad Mu'awwad, and Professor Dr. Fathi 'Abd al-Rahman Ahmad Hijazi participated in its investigation. Al-'Ubaikan Library. Riyadh. 1st ed. 1418 AH.
18. The Concise Editor in the Interpretation of the Noble Book. Judge Abu Muhammad Abdul Haq bin Ghalib bin Atiyah Al-Andalusi. Edited by Abdul Salam Abdul Shafi Muhammad. Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah. Beirut - Lebanon. 1st ed. 1422 AH
19. Al-Manthur fi al-Qawa'id. Badr al-Din Muhammad ibn Bahadur al-Zarkashi al-Shafi'i. Investigation: Taysir Faiq Ahmad Mahmoud. Reviewed by Abdul Sattar Abu Ghuddah. Ministry of Awqaf and Islamic Affairs - Kuwait. 1st ed. 1402 AH - 1982 AD